

٣ - مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام

تأليف الأستاذ محمد بن عبد الله عنان .

طبعة ثانية بدار الكتب المصرية سنة ١٣٥٢ - سنة ١٩٣٤

ظهر هذا الكتاب من عدة سنوات فلقى من الانتشار وألقى عليه من المحبة ما لا تبلغه كثير من الكتب العربية التى تطبع فى بلادنا . وسبب ذلك على الأرجح ما لهذا الغرض بعينه من الشوق فى قلوب الناس من أهل الشرق . فطغيان الحياة الأوربية التى تنقل إلينا على ظهور البواخر كل يوم وعلى ظهور الآدميين وعقولهم وشهواتهم بما فيها من الفساد والضعف والانحلال ، وبما فيها من العلم والقوة والنبوغ أيضًا ، .. هو من أهم ما يحفز أكثر المثقفين المفكرين إلى درس المواقف التى كانت سبب التحايز بين أمم الغرب والأمة العربية المسلمة ، تلك المواقف التى جعلت للتاريخ الإسلامى صورة ينساها أبناء الإسلام ، ويحقق النظر فيها علماء الأمم المسيحية ليأخذوا منها العبرة الباقية على مدى العصور واضحة جليلة مفصحة مبينة .

المواقف الحاسمة التى وقفت من سيل المسلمين بدينهم ومرّنت الأمم المسيحية على خُلق المسلمين وآدابهم وعاداتهم وشيء من دينهم ، كانت ولا تزال مادة للتاريخ الحى الذى يجب على كل شرقى أن يوجد العناية به فى نفسه إن كان لا يجدها ، وذلك لما فيها من مفاخر السلف العاملين ، وفى هذه المفاخر أصول للقدوة والاتباع فيها إنقاذ الحياة الشرقية من الفوضى والجهل ، واستخلاصها من براثن الاستعمار الذى لا يدع للقوى قوة يفرع إليها ، ولا للضعيف عدة يستنصر بها .

ولعل أول من اعتنى من كتاب العصر الحديث بهذا هو الأستاذ محمد عبد الله عنان فقد كتب كتابه هذا باذلاً أقصى الجهد فى تحقيق ما هو بسبيله من التاريخ على قدر ما يكون فى طاقته مخلصاً فى ذلك كل الإخلاص . ولهذا

الإخلاص يغتفر له من يقرأ كتابه بعض الزلات . ولهذا نفسه كان هو أول من رجع على فصول كتابه بالتعقيب فنقح منها وزاد فيها ماصحاً له من العلم . وهذا وحده فخر عظيم للأستاذ يجعله دائماً في طليعة من يريد العلم للعلم ، لا للشهرة والاسم .

ولا نزيد قراءنا تعريفاً بالكتاب وكاتبه ، فالكتاب قد أخذ قسطاً وافراً من الشهرة في الأمم الشرقية والعربية ، والكاتب له في قلوب الشرقيين مكانة ومودة . ويبقى علينا أن ننبه إلى شيء جديد وهو أن هذا الكتاب يكاد يختلف اختلافاً كبيراً عن الطبعة الأولى منه ، لما فيه من الفصول التي أضيفت له ، وما دخله من التغيير والتنقيح حتى أصبح كتاباً مستقلاً يضارع الطبعة الأولى منه . فلا غنى لمن يملك الطبعة الأولى عن اقتناء الطبعة الثانية ، ونرجو أن يوفق الأستاذ في طبعته الثالثة إلى إضافة فصول جديدة وإدخال تنقيح جديد في أبواب كتابه ، فما من كلمة يكتبها أحدنا اليوم وإلاً ويصبح وقد بدا له فيها . وهذا هو السر في تجدد العلم . وهو سرُّ العقول النابغة التي لا تفتقر ولا تمل .